الدرس الثاني

رابعاً: غاية علم الدراية:

إنّ الغاية الاساسية من هذا العلم هي تمييز الأحاديث المقبولة ليعمل بها، والاحاديث المردودة ليجتب عنها.

وكذلك فإنّ كلمات علمائنا المتقدمين مشحونة بالكثير من هذه الاصطلاحات فكان لابد من معرفتها مقدّمة لفهم كلماتهم، ولذا قال العلامة المامقاني: «إن غاية هذا العلم هو معرفة الاصطلاحات المتوقف عليها معرفة كلمات الأصحاب، واستنباط الأحكام، وتمييز المقبول من الأخبار ليعمل به، والمردود ليجتنب عنه».

خامساً: تاريخ علم الدراية

إنّ أقدم وثيقة علمية في الفكر الحديثي هي ما رواه الشيخ الكليني في كتاب (الكافي): عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن اليماني عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي: قال: قلت لأمير المؤمنين (ع): إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن، وأحاديث عن نبي الله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله (ص)، أنتم تخالفونهم فيهان وتزعمون أنّ ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم ؟ ! . قال: فأقبل (ع) علي فقال: قد سألت فافهم الجواب: إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، وقد كذب على رسول الله (ص) على عهده حتى قام خطيبا فقال: (أيها الناس قد كثرت علي الكذابة، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)، ثم كذب عليه من بعده. وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

١ـ رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله (ص) متعمدا . فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (ص) ورآه وسمع منه فيأخذون عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال تعالى : (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقلوا تسمع لقولهم)، ثم بقوا بعده (ص) فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة

إلى النار بالزور والكذب والبهتان، فوفوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله . . فهذا أحد الأربعة .

٢ـ ورجل سمع من رسول الله (ص) شيئا لم يحمله على وجهه، ووهم فيه، ولم يتعمد كذبا، فهو في يده، يقول به، ويعمل به، ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله (ص) . فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، لو علم هو أنه وهم لرفضه.

٣ـ ورجل ثالث سمع من رسول الله (ص) شيئا أمر به، ثم نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شئ، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ . فلو علم أنه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

٤ـ وآخر رابع لم يكذب على رسول الله (ص)، مبغض للكذب خوفا من الله، وتعظيما لرسوله (ص)، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع، لم يزد فيه ولم ينقص، وعلم الناسخ والمنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فإن أمر النبي (ص) مثل القرآن، ناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان : كلام عام وكلام خاص مثل القرآن، وقال الله تعالى في كتابه : (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)، فيشتبه على من لا يعرف ولم يدر عنى الله به ورسوله (ص) . ليس كل أصحاب رسول الله (ص) كان يسأله عن الشئ فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطاري فيسال رسول الله (ص) حتى يسمعوا).

وقد كانت هذه الرواية الشريفة المنطلق الواعي لتدارس الفكر الحديثي وتوالده .

وهناك روايات أخرى وردت عن أهل البيت تتضمن كيفية التعامل مع المرويات وتعدّ من الوثائق التي تكشف عن بدايات علم الدراية عند الشيعة الإمامية.

وقد استمر تداول علم الدراية عند علماء الشيعة في مؤلفاتهم المختلفة فكانوا يطلقون على بعض الاحاديث بانه صحيح أو ضعيف أو متواتر وغير ذلك ممّا يتعلق بعلم الدراية.

ثمّ ظهرت تأليفات مستقلة في علم الدراية، ومن أهمّ هذه المؤلفات:

١ـ لعل أقدم مؤلف إمامي في هذا العلم هو كتاب (شرح أصول دراية الحديث) للسيد علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النجفي النيلي تلميذ العلامة الحلي، من علماء القرن الثامن الهجري.

٢ـ وفي القرن العاشر الهجري كانت مؤلفات الشيخ زين الدين العاملي الشهيد الثاني (ت: ٩٦٦ هـ)، والتي بها استقر تدوين هذا العلم، وعنها نهل من جاء بعده، ومن أشهر مؤلفاته:

أ- البداية في علم الدراية، وهو أول مصنف شيعي في علم الدراية وصل إلينا.

بـ- الرعاية في علم الدراية، وهو شرح لكتابه البداية.

جـ- غنية القاصدين في معرفة اصطلاحات المحدثين، (ألمح إليه في خاتمة شرح البداية، وقال: من أراد الاستقصاء فيها مع ذكر الأمثلة الموضحة لمطالبه فعليه بكتابنا (غنية القاصدين في معرفة اصطلاحات المحدثين) فإنه قد بلغ في ذلك الغاية).

٤- وصول الأخبار إلى أصول الأخبار، للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي (ت:٩٨٤هـ).

٥- الوجيزة في علم الدراية، للشيخ بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣٠ هـ).

٦- الرواشح السماوية، للسيد الداماد (ت ١٠٤١ هـ).

٧- جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال، للشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ).

٨- مقباس الهداية في علم الدراية، الشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١ هـ).

٩- نهاية الدراية (شرح وجيزة البهائي) للسيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤ هـ).

١٠- تلخيص مقباس الهداية، علي أكبر غفاري.

١١- أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، الشيخ جعفر السبحاني.

١٢- أصول الحديث، د. عبد الهادي الفضلي.

١٣- دروس في علم الدراية، د. رضا مؤدب.